البـــداية والنهاية

قصة للأستاذ نجيب محفوظ

للأستاذ ثروت أباظه

هى الوثبة الأخيرة التى وصل إليها قلم القصاص الكبير

خطأ مشهور وصواب استعماله للحزن والتحسر ، تقول « لهف على الشئ وتلهف عليه » أى حزن وتحسر . وهو يقول (ص ٩٠) على لسان « آسية » حيث تقبل على صياح « أسامة » فتسأله « مالك تبكى يا حبيبى ؟ هل أحد ضربك ؟ » والأولى أن تقول « هل ضربك أحد ؟ » فإن الاستفهام هنا عن سبب البكاء أى عن الفعل . ويقول (ص ٩٦) على « آسية » مخاطبة « كوثر » عندما استنكرت مجئ « ميمونة » فى وقت الطعام « . . هل نسيت أن أهلك لا يؤخرون الغداء مثلنا إلى قرب العصر » واستعمال كلمة « الغداء » فى معنى طعام الظهر خطأ مشهور كذلك فإن « الغداء » طعام الغدوة التى تكون فى الصباح ، وعلى هذا المعنى جرى قول الله عز وجل « آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا » ، وهناك بعض الهنات الهينات الأخرى نتجاوز عنها لأننا لم نبغ الحصر وإنما ابتغينا المثال !

وبعد : فلا يذهبن أحد إلى أن هذه المآخذ اليسيرة التى أخذناها على صديقنا تنقص منه ، أو تنال من مكانته ، أو تزحزحه عن مركزه فى الصف الأول بين مؤلفينا

فلا والله ما هو عندنا إلا فى الصابرين المجاهدين من المؤلفين ، وما هو فى رأينا إلا من أولى العزم الذين نرقب منهم الخير الكثير

وما كلامنا هذا إلا تحية لجهوده الكثيرة المشكورة ، وتنويه بأثر من آثاره الضخمة التى ما نحسبها تحتاج إلى تنويه

على مشولى صلوح

الأستاذ نجيب محفوظ صورة صادقة حية جياشة بالحياة عن الفترة التى تمر بها مصر اليوم.. أخذ نجيب فيها أشخاصه من الطبقة المتوسطة فهى عائلة كان عائلها موظفا يعيش بالنسبة إلى الحى الذى يقطن به عيشة رضية لا يقلقها المال كل القلق

وتقوم الرواية بعد موت هذا العائل فأسرته بعده فى حيرة كبيرة لا يدرون كيف يواجهون الحياة ولا مال لديهم ولا سند لهم وأفرادهم كثر والحال ضنك . كبير العائلة « حسن » شاب لم ينل من التعليم إلا حظ المقل الذى لا يغنى ، وأخواه الصغيران طالبان مازالا فى تعليمهما الثانوى ، وأختهما بنية ليس لها فى الدنيا عن قبحها إلا قول أبيها — رحمه الله — إنها خفيفة الظل . . ولا يبقى بعد ذلك إلا الأم وهى كل شئ ... سيدة حازمة قوية أدركت الموقف وواجهته فلم تنظر إلى ابنها الأكبر إلا نظرة الإشفاق عليه والحزى من نفسها أنها لم تستطع أن تقوم على تربيته قياما صالحا ، ولكنها لا تفوت هذه النظرة الشفقة الآسفة دون أن تفيد منها عبرة صالحة تنفعها وهى تخطو بولديها الآخرين إلى طريق الحياة ، وهكذا نجد الأم لا تترك شيئا دون أن تفيد منه . فابنتها تجيد الحياكة وكانت تقوم بها تروبحا عن النفس فلتقم بها حرفة تكسب منها المال ، وولداها يأنفان أن يملأ بطونهما من طعام الغداء فى المدرسة فهى تحتم عليهما أن يكتفيا من طعام المدرسة فالعشاء قد أتى من البيت . وهكذا أخذت تدبر الأمور فى تصميم قاطع واثقة أن جلدها لن يتخلى عنها

وسار الأولاد كل فى طريقه الملتوى أو السوى . فحسن لا يريد أن يحصل على عمل إلا إذا كان موافقا لمزاجه .. ومزاجه أرعن عربيد فهو يطوف بالأعمال الهزيلة الواحد بعد الآخر ، وتتطوف به البطالة الطويلة فيأخذها حتى ينتهى به المطاف إلى حانى مقهى « بدرب طياب » فى أقذر مباءات القاهرة، ولا يكتفى بهذا الكسب بل هو يعمل فى تجارة مخدرات ضيقة الحدود

وأكبر الولدين يحصل على التوجيهية فتجتمع العائلة لتنظر فى أمره ولكنه كان شبيها بأمه وقتيا فى نظرته فهو يخبرهم أنه انتوى التوظف ليوفر لهم بعض العيش

وأما الولد الآخر وكان يصغره بعام فقد أحب جارته . وقد أخرجها الأستاذ نجيب صورة رائعة لفتاة عفيفة من الطبقة المتوسطة، متمسكة كل التمسك بما تسمعه أمها لها من حكم ومواعظ وأمثال، حتى أن حبيبها لم يستطع أن يصل معها إلا على وعد بالزواج .. ولكنه كان يخشى أمه فهو يخاطب أباها وهو صديق المرحوم أبيه الصدوق . يخاطبه لا ليخطب إليه ابنته ولكن ليرجوه هو أن يخطبه من أمه.. وتتم الخطوبة وأنف الأم راغم فهي لا تريد أن تخسر صديق المرحوم الذي لا زال منذ مات العائل يواصل الأولاد ويرعى مصالحهم ...

يخطب الأصغر الفتاة ويسير في تعليمه قدما حتى يدخل الكلية الحربية

وأما الأخت خفيفة الظل فهي ما تزال تخيط الملابس حتى يأتي يوم يغازلها فيه ابن البقال ويعدها بالزواج ثم ينجز الوعد قبلا قبل أن يسمح بذلك المأذون ـ ويتركها ليتزوج من أخرى ادعى أن أباه أرغمه على الزواج بها فتثور في وجهه، ولكن ماذا يفيد .. وتذهب إلى العروس لتخيط لها ملابس الفرح ولكن الغيظ يمنع عنها هذا الرزق فهي تثور بالعروس أيضا وترى خطيبها أمامها بكل ما تكره خطيبة أن تسمع عن خطيبها ولكنها أبدا لا تبوح بما كان .. وتمر فترة وهي هادئة أن أحدا لم يكتشف ما أصبح ينقصها فهو لا يكتشف إلا بالزواج وقد يئست منه .. يئست من زيجة مشروعة واحدة فعدلت عنها إلى زيجات متعددة غير مشروعة لا يعنيها فيها إلا أن يكون زوجها رجلا فحسب .. ويعنيها أيضا الابتعاد عن هذه الزيجات إلا أطرافها الآخرون دون غيرهم .. ولا بأس بها إن هي قبلت بعض المال ما دامت ستقوم بالأمر وما دامت أصبحت وهي لا تستطيع عن هذا بعدا

والولد الأكبر تاجر مخدرات فهو يستطيع أن يبر عائلته من حين إلى حين ولا يهم الأم أن تعلم من ابنها شيئا عن عمله أو هي في الحق تخشى أن تعلم عن عمله شيئا . والأستاذ نجيب كما سبق أن قلت يحب أن يرسم شخصياته كما خلقهم الله.. فالشر يرمهما بلغ به الشر فيه للخير نصيب مهما قل . وهكذا كان حسن شريرا ولكنه كان بارا بأهله حتى أنه ليعطي أكبر الصغيرين من المال ما يستطيع به أن يسافر إلى مقر عمله وينفق حتى يصرف له مرتبه ، وهو يعد أخاه الأصغر بالقسط الأول من نفقات الكلية الحربية . وحين يصبح أخوه ضابطا يأتي إليه ليسأله أن يسير في طريق أكثر استقامة ويبتعد عن الشر الذي يرزح تحته .. ولكنه يفهمه أن هذا الشر هو الذي صيره ضابطا، وأن ما يعتقده الضابط شرا يعتقده هو خيرا ، ولا فرق بين الاعتقادين وإنما الفارق بين البيتين ، فهو حيث هو محترم موقر ، وهو لن يذهب إلى أخيه ولن يحتاجه ، وهكذا ينصرف الضابط بعد أن يئس من إصلاح أخيه .

وصاحب التوجيهية موظف بطنطا يهم بأن يتزوج من ابنة رئيسه ولكن الأم تدركه فيعدل دون أن تواجهه بالكلمة الصريحة.. فقد كان بحسبه أن تشير لكي يفهم وينفذ

والضابط بعد أن يتخرج ينظر هو إليه فيروعه ما يحيط به من وسط وبيئة ويحقد في نفسه وتثور النار.. فهو ساخط على أخيه ساخط على ماضيه ساخط على حاضره ساخط حتى على عروسه بعد أن تبين له أنه لم يكن يحبها هي ، وإنما كان يحب أن يقبلها وقد اغتصب منها القبلة فهو لا يريدها ، وهو طامح إلى التغيير فهو ينتقل إلى مصر الجديدة ، وهو يتخلص من خطيبته بعيد خطبة دامت ثلاث سنوات ، وهو يتقدم إلى ابنة موظف كبير كان يعطف على أبيه وعليهم من بعده ، ولكن طلبه يرفض فيزداد سخطه

وكم كان نجيب رائعا حين لمس ذلك الحب الذي يكنه أكبر الصغيرين لخطيبة أخيه . . حب يترقرق دون أن يتبلور . . يهم بأن يصل من القلب إلى العقل ، ولكن عقل الفتى قوي جبار يحبس هذه الهمسة ويكتمها حتى يفسح أخوه الخطبة فيتقدم هو لخطبة الفتاة ، وهو أمام عائلته يصلح خطأ أخيه ، وهو يحاول أن يقنع نفسه بذلك أيضا ولكن الهمسة قد أصبحت صرخة وليكن ما يكون

أما الأخت فإنها تظل تنتقل من رجل إلى رجل حتى يضبطها بوليس الآداب وتحتمي بأخيها الضابط فتكون الطامة . . لقد كان ثائرا على ماضيها أن كانت تعمل خياطة ، ولقد أضاع ماضيها هذا ابنة الموظف الكبير من يده . أفلا يكفيها هذا الأبد أيضا أن تكون هكذا . . يحاول أن ينتقم ، ولكن أخته كانت

مطمئنة لمصيرها هادئة إلى نهايتها.. إنها لم تستكنه أن ينتقم.. إنها ستنتحر .. إنها انتحرت

وكأنما أراد نجيب أن يقول لهذا الضابط المتعجرف وأن يقول لأمثاله الذين أكثرت من وجودهم الأجواء العاصفة بنا في هذه الأيام أراد أن يقول « إن كنت لا تصدق أن هناك شرا من ماضيك وحاضرك فانظر . . هذا بعض ما خفي عنك فبعض الإيمان أيها البادئ الصغير »

هذه هي القصة في جملتها محبوكة الأطراف ذات شخصيات رائعة الرسم بريشة فنانة جريئة هي ريشة نجيب . . وليس في القصة من ناحية قوة الشخصيات وروعة الحوار وصدقه .. ليس في كل هذا جديد بالنسبة لما عودنا نجيب

فالحوار الذي يدور بين حسن ورفيقته، وبين الفتاة وأزواجها الذين عرضهم علينا نجيب، والحوار بين حسن وصديقه النهي وفي غير هذا من المواقف . حوار من صميم الحياة بحيث أتساءل كيف تسنى لنجيب أن يبلغ هذا الصدق . . أتساءل وأحب أن يجيب الأستاذ نجيب عن هذا التساؤل

ليس في القصة من هذه النواحي جديد لأن نجيبا في قصصه السابقة كان قد بلغ القمة التي لا يمكن أن يبلغ إلى أكثر منها .. ولكن الرائع الجديد أن نجيبا قد تعمق إلى النفس ومزق عنها الأستار في جرأة لم يسبق نفسه إليها، فهذه الخواطر المتناثرة الثائرة بنفوس شخصياته شيء جديد في القصة المصرية . وهذا الكره الثائر بنفس العانس لكل عروس وغير هذا من التحليل العميق، كل ذلك جديد

نجيب.. لقد كتبت عن قصصك السابقة معجبا بها، وأكتب عن قصتك هذه معجبا بها ، ولن أغلف هذا المدح أو أدور به بل سأظل أقوله صريحا قويا لا أخففه بمحاولة انتقاد.. وإني لأكبر أمام نفسي حين أعجب بهذه القصص وقد قلت يوما إنك ستصبح في القمة الشاهقة التي يعتليها كبار كتاب القصة المصرية.. واليوم أقول إنك قد اعتليتها.. أقولها مرتاحا لما أقول.. مهنئك بما ارتقيت، مهنئا القصة المصرية بل . راجيا أن يديم الله عليك التوفيق ويديم على قصصك إشراقة الإيمان

ثروت أباظة

بين المسموع والمقروء

للدكتور أحمد زكي بك

للأستاذ محمد عبد الحليم أبو زيد

هذا الكتاب القيم مرآة تعكس كثيرا من الظواهر الاجتماعية والخلقية والنفسية لبيئتنا الراهنة . وما يتراءى في مجالنا الاجتماعي والنفسي بقلم الأديب ذي السليقة الفنية ، ومنطق العالم صاحب النزعة العلمية ؛ تشعر بالروح العلمية في ذلك الحرص على استخلاص النتائج الاجتماعية والخلقية والنفسية التي تتضمنها الصور . فالفن الذي تضفيه الذاتية الوجدانية لا يستأثر بالجمال بل تساهم فيه روح الموضوعية العلمية في استخلاص الأهداف والكشف عن الدلالات الفلسفية والعلمية . تستطيع أن تستجلي هذه الألوان في كل ما عالجه هذا الكتاب من جوانب، فمن عرضه لظاهرة كظاهرة الانتحار في موضوع — ليته درى — يكشف لك عن المشاكل الاجتماعية والنفسية التي يعرض لها المنتحر أسرته، والعقد النفسية التي تهد كيانهم الروحي ، وتحطم وجودهم الاجتماعي . فأي مرارة صبها ذلك الرجل المنتحر في كأس حياة زوجته وأولاده ؛ ليته درى ؟ أنه ورث أولاده فيما ورث الكفر بالحياة والريبة في أمر أنفسهم . وجنى على زوجته فضاعف أساها وسلبها حتى برد عزاء المزين . وحال بينها وبين السلوان — فالمرأة المزوجة في زوجها على الطبيعة ، تلقى من الناس فلا تخشى شيئا . والناس لا يخشون أن يطيلوا لها في الرثاء ويسهبوا ؛ أما المزوجة في زوجها انتحارا فتلقى الناس فتخشاهم وتخشى سؤالهم والإكثار، وهم من جانبهم يخشون الحرج فتكون تعزيتهم اقتضابا وكثيرا ما يكون كلامهم صمتا ... وجلست المزوجة تستعيد ذلك الشريط الذي يحمل ألوان ماضيهم . فلا تجد بعد الذي حدث صفاء ؛ ولا تجد لها طعما . وتلك النكات ، وتلك الضحكات ، ومظاهر الحب والعطف والفرح في العيش مما لا مر، والحزن مما لا ساء ، كلها ربطت بين

مطمئنة لمصيرها هادئة إلى نهايتها.. إنها لم تستكنه أن ينتقم.. إنها ستنتحر .. إنها انتحرت

وكأنما أراد نجيب أن يقول لهذا الضابط المتعجرف وأن يقول لأمثاله الذين أكثرت من وجودهم الأجواء العاصفة بنا في هذه الأيام أراد أن يقول « إن كنت لا تصدق أن هناك شرا من ماضيك وحاضرك فانظر . . هذا بعض ما خفي عنك فبعض الإيمان أيها البادئ الصغير »

هذه هي القصة في جملتها محبوكة الأطراف ذات شخصيات رائعة الرسم بريشة فنانة جريئة هي ريشة نجيب . . وليس في القصة من ناحية قوة الشخصيات وروعة الحوار وصدقه .. ليس في كل هذا جديد بالنسبة لما عودنا نجيب

فالحوار الذي يدور بين حسن ورفيقته، وبين الفتاة وأزواجها الذين عرضهم علينا نجيب، والحوار بين حسن وصديقه النهي وفي غير هذا من المواقف . حوار من صميم الحياة بحيث أتساءل كيف تسنى لنجيب أن يبلغ هذا الصدق . . أتساءل وأحب أن يجيب الأستاذ نجيب عن هذا التساؤل

ليس في القصة من هذه النواحي جديد لأن نجيبا في قصصه السابقة كان قد بلغ القمة التي لا يمكن أن يبلغ إلى أكثر منها .. ولكن الرائع الجديد أن نجيبا قد تعمق إلى النفس ومزق عنها الأستار في جرأة لم يسبق نفسه إليها، فهذه الخواطر المتناثرة الثائرة بنفوس شخصياته شيء جديد في القصة المصرية . وهذا الكره الثائر بنفس العانس لكل عروس وغير هذا من التحليل العميق، كل ذلك جديد

نجيب.. لقد كتبت عن قصصك السابقة معجبا بها، وأكتب عن قصتك هذه معجبا بها ، ولن أغلف هذا المدح أو أدور به بل سأظل أقوله صريحا قويا لا أخففه بمحاولة انتقاد.. وإني لأكبر أمام نفسي حين أعجب بهذه القصص وقد قلت يوما إنك ستصبح في القمة الشاهقة التي يعتليها كبار كتاب القصة المصرية.. واليوم أقول إنك قد اعتليتها.. أقولها مرتاحا لما أقول.. مهنئك بما ارتقيت، مهنئا القصة المصرية بل . راجيا أن يديم الله عليك التوفيق ويديم على قصصك إشراقة الإيمان

ثروت أباظة

بين المسموع والمقروء

للدكتور أحمد زكي بك

للأستاذ محمد عبد الحليم أبو زيد

هذا الكتاب القيم مرآة تعكس كثيرا من الظواهر الاجتماعية والخلقية والنفسية لبيئتنا الراهنة . وما يتراءى في مجالنا الاجتماعي والنفسي بقلم الأديب ذي السليقة الفنية ، ومنطق العالم صاحب النزعة العلمية ؛ تشعر بالروح العلمية في ذلك الحرص على استخلاص النتائج الاجتماعية والخلقية والنفسية التي تتضمنها الصور . فالفن الذي تضفيه الذاتية الوجدانية لا يستأثر بالجمال بل تساهم فيه روح الموضوعية العلمية في استخلاص الأهداف والكشف عن الدلالات الفلسفية والعلمية . تستطيع أن تستجلي هذه الألوان في كل ما عالجه هذا الكتاب من جوانب، فمن عرضه لظاهرة كظاهرة الانتحار في موضوع — ليته درى — يكشف لك عن المشاكل الاجتماعية والنفسية التي يعرض لها المنتحر أسرته، والعقد النفسية التي تهد كيانهم الروحي ، وتحطم وجودهم الاجتماعي . فأي مرارة صبها ذلك الرجل المنتحر في كأس حياة زوجته وأولاده ؛ ليته درى ؟ أنه ورث أولاده فيما ورث الكفر بالحياة والريبة في أمر أنفسهم . وجنى على زوجته فضاعف أساها وسلبها حتى برد عزاء المزين . وحال بينها وبين السلوان — فالمرأة المزوجة في زوجها على الطبيعة ، تلقى من الناس فلا تخشى شيئا . والناس لا يخشون أن يطيلوا لها في الرثاء ويسهبوا ؛ أما المزوجة في زوجها انتحارا فتلقى الناس فتخشاهم وتخشى سؤالهم والإكثار، وهم من جانبهم يخشون الحرج فتكون تعزيتهم اقتضابا وكثيرا ما يكون كلامهم صمتا ... وجلست المزوجة تستعيد ذلك الشريط الذي يحمل ألوان ماضيهم . فلا تجد بعد الذي حدث صفاء ؛ ولا تجد لها طعما . وتلك النكات ، وتلك الضحكات ، ومظاهر الحب والعطف والفرح في العيش مما لا مر، والحزن مما لا ساء ، كلها ربطت بين

الزوج والزوجة روابط لم يعبأ بها الزوج عندما أراد أن يقطعها ... وتسأل الله في أحلامها : لو اتصلت الخيوط والتحمت الشرايين! فيقول الله : ليس على هذه الأرض وصل بعد فصل ، ولا التحام بعد قطع . . . ويوقع أولاده في أزمات نفسية عنيفة مستعصية . فإذا تحدث صديقات البنت عن آبائهن فتسكت فلا تطارح الصديقات المتدفقات حديثا بحديث . ويتحدث أصدقاء الولد عن آبائهم فيسمع الولد ولا ينطق . تتسمع أذنه للألم . وينعقد لسانه عن إفصاح. وفي الإفصاح التنفس من ضيق. وفي الحديث استشفاء من ألم .. ثم يأخذ في تحليل العوامل النفسية التي قذفت بالمنتحر إلى هوة الانتحار فيقول : قد نشأ هذا الزوج على الفقر. وكان فقرا مدقعا . فقر في البيت ، وعلى المائدة ، وعند النوم . وظل يمضغ مضغة الحياة المرة سنوات لأنه لم يجد ما يتبلغ به سواها — ثم لانت الحياة وهادنته صروفها فاستعاد هدوءه فلما تجهم له وجهها وثارت أعاصيرها وعاد إلى الزوج خوفه القديم . خوف الفقر وخوف الحياة . لم يلبث أن انهارت أعصابه واختل توازنه وخر صريعا ..

ويترك زوجته تجتر هذه الخواطر السود !! كيف ساغ عنده أن في وفاء حاجة الجسم غناء عن حاجة النفس .. وهو لو عاش لكافحنا سويا وكان لنا في الكفاح على الإخلاص لذة . فلمن تقول هذا وأسفاه!! والأذن التي تريد أن تسمعها ماؤها التراب. إنه الألم الدائم واليأس الذي لا رجاء فيه . . .

أرأيت أن هناك جانبا من الجوانب لم يطرق في هذه الظاهرة ؟ ورأى يمكن أن يستخلص وأفضل؟ أو فلسفة اجتماعية أو أخلاقية أتيحت لها الفرصة ولم تقرر؟ بل لقد صور بنضرة بيانه، وحيوية أسلوبه، وغزارة علمه هذه الظاهرة. وعلى هذا الأسلوب الفني العلمي تقوم صور ما قصه الدكتور علينا في هذا الكتاب ، فهي نماذج ممتعة للذوق. بفنها ، وللعقل بسلامة منطقها. وموقظة للوعي الاجتماعي بما تتناوله من مشاكلنا الاجتماعية ، فهو كتاب يرشحه لمصاف الأدب الحي أكثر من سبب

محمد عبد الحليم أبو زيد
دبلوم في التربية وعلم النفس
ومدرس اللغة العربية بالمدارس الأميرية

ابن الفارض والحب الالهي

للأستاذ محمد خفاجي

رسالة جامعية علمية ، ألفها الدكتور محمد مصطفى حلمي ، ونال بها درجة الدكتوراه في الفلسفة من كلية الآداب عام ١٩٤٠ ، ونشرتها لجنة التأليف في ٣٢٦ صفحة . . وقد أعجبت البيئات الفلسفية والعلمية بهذا البحث القيم ، ولقي تقديرا خاصا في الأوساط الجامعية وبين المستشرقين . وهو يعد بمثابة فتح جديد في ميدان بحوث الفلسفة الإسلامية والتصوف

والمؤلف رجل جامعي كرس حياته للبحث والدراسة ، ويشغل الآن منصب أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية الآداب بجامعة فؤاد

والرسالة حديث عميق عن ابن الفارض الشاعر الصوفي المصري (٥٧٦ — ٦٣٢ هـ)، وسيرته ، وحياته الصوفية ، وآثاره وحبه الإلهي ، والمنازع الفلسفية لهذا الحب ، وما مر به من أطوار، إلى غير ذلك من شتى البحوث العلمية الدقيقة عن إمام شعراء الصوفيين، وسلطان العاشقين في الله؛ وتصحيح ما رغناه، والرد على المستشرقين فيما أثاروه من شبه حول صوفيته وحياته

والكتاب فوق روحه العلمي القوي مكتوب بذوق المؤمن وأدب المتصوف . ويلمس فيه القارئ نفحات روحية صادقة بأسلوب بارع ، استمدها المؤلف من روحية شاعرنا الصوفي

محمد خفاجي